

د. / حازم احمد عطية الله
مدرس المصريات بكلية السياحة

ان مشكلة اثبات الوجدانية فى الديانة المصرية القديمة وما ينبثق منها من معتقدات أخرى مازالت تحتاج الى دراسة جديدة ، لما تحويه تلك المعتقدات من مظاهر ومدلولات تشير الى عبادة الاله الأوحد على مر العصور التاريخية المختلفة •

وقد اختلفت وتباينت وتداخلت تلك الظواهر والمدلولات فانعكس ذلك على الصفات والتسميات التى أطلقت للتعريف بهذه المعتقدات ، وهى فى النهاية لا تتعدى كونها مظاهر الوجود لذلك الاله الأوحد •

فمن خلال هذا المقال نتعرض على وجه الأخص لظاهرة الازدواجية لمدلولات وصفات الاله الأعلى • وهى محاولة لطرح بعض النقاط المبتكرة الجديدة القابلة للتوسع والدراسة المتعمقة فيما بعد •

منذ البدء كان هناك بجانب (أو فوق الآلهة الأساسية معتقد أعلى يعبد (Ntr 3) (الاله الكبير) •

وكما سمي فى تعاليم الحكمة بصياغات متعددة أنه الاله الكلى ، « الذى نشأ من نفسه » « سيد الشئ الذى يكون ولا يكون » ، أنه « الاله » •

« أنه يتنبأ ببعث الأشياء ، فتولد فوراً » • أنه يعيشها من خلال

صوته (تساوى الكلمة الخالقة) • ويسن القوانين لما سوف يكون
انه لا ينظم شيئاً مؤذياً (١) •

انه « الأكبر » و « رب كل شيء » « الأله » فى صورته الأولى
القديمة الذى يحمل فى نفسه كل شئ كائن ، فهو بدون نهاية أى
« الأوحد » ، « الحى » ... الخ • وكثيرا ما يتصف بصفات النفس من
أجل التعبير عن بعد الشئ عن طاقة الانسان الذى لا يمكن الوصول
اليه ، مشابها فى ذلك لما هو متعارف عليه فى مفاهيم الأفلاطونية
الحديثة والمسيحية (٢) •

وبالرغم من معرفتنا بالعبادات المحلية ، فقد كان هناك فى أقدم
مرحلة معروفة لدينا للديانة المصرية القديمة اعتقاد بأن هناك الها أعلى
هو الخالق الحافظ للعالم أجمع •

ونفس الشئ ينطبق على تطور مصر القديمة لتصبح دولة متحدة ،
فلم تكن الوحدة وما تحمله من اعتبارات سياسية هى الجافز لظهور الاله
الأوحد الذى يحوى كل شئ بمقولة أن ترابط أواصر البلاد ينطبق على
تلك الوجدانية ، بل على العكس من ذلك ، فهذا الكيان الالهى يعتبر
بمثابة الشرط والأساس لحدوث تلك الوحدة • ان ذلك الكيان الالهى
هو الذى يستحق فقط أن يسمى (Ntr) « الاله » ، وربما تكون تلك
التسمية فى حد ذاتها قد عبر عنها بصفة « المختفى » •

وهناك هوة سحيقة تفصل بينه وبين الآلهة الأخرى التى خلقها
هو والتى تعتبر كائنات سماوية تعلو من فوق البشر • ويمكننا أن نعتبر
تلك الآلهة واجهات لجسم واحد ، وكل وجه يحمل صفة من صفات الاله
الأعظم ، فهو فى النهاية لا يعدو أن يكون محصلة تلك الصفات والقوى

(١) راجع

Drioton, ASAE, XLIV, 111; Les dedicaces de Ptol. Euer. II.

(٢) « المختفى » = Imn ، الذى لا يكون = Nn — wn

الموجبة والسالبة التي تتفاعل مع بعضها لتظهر فى النهاية فى صورة خالق هذا الكون .

وعلى هذا الأساس يكون « لئله الأعظم » أسماء الآلهة الأخرى المختلفة . فهى اذن فى مجموعها مظاهر لوجوده .

فالآلهة التى تمثل بالأشكال الحيوانية مثلاً هى قوى حامية وهى جزء من الأصل أو تقتصر له . وفى بعض الأحيان ينادى السكائن الأسمى بأسماء وصفات مختلفة مثل : —

الخالق — البانى — المخلص — الحى — الحافظ — الرارق —
الدائم — الحامى — الموقظ — الرابط .

وقد استخدمت هذه الأسماء خاصة فى الدولة القديمة :

« رائع التشييد » — « الحى حامى الحمى » — « الطيب الحامى »
..... الخ أو يسمى بكلمة « اله » فقط ، كما ورد فى النص « المرء لا يعرف ماذا سوف يحدث ، وماذا يفعل الاله عندما يعاقب » (٣) .

وفى بعض الأحيان ينادى ببعض الصفات على أساس أنه :

رحيم — لطيف — ودود — كبير — خالد — حى — عظيم —
عادل — عليم .

وبمقابلة الصفات الالهية السابق ذكرها تجدر الإشارة الى صفة آمون المختفى ، والتى يمكن تتبعها فى بعض المعبودات الأخرى

(٣) راجع تعاليم الحكمة لسكاجينى .

خاصة فى العصر المتأخر • فتلك الصفة تتسم بنوع من الغموض وهو ما أسميناه بالصفة السلبية • والتي من خلالها أمكن التعبير عن سمو الالهى ، كما ورد فى النص : « ان صوته يسمع ولكن لا يمكن رؤيته » (٤) •

وبالنسبة لصفة « العدل » فيخاطب الاله كما لو كان وزيرا فهو « الوزير العادل » بمعنى العدالة الأرضية المثلى المنفذة لارادة الآلهة « ماعت » = احدى صور الاله الأعظم التى تعمل على توازن نظام العالم • والتي من خلال ارتباطها بالملك الحاكم أمكن التغلب على الفوضى وسوء الأحوال خلال العصر العتيق (٥) • وهى فى ذلك تربط المجال الروحى بمجال الحياة •

والصفات الالهية الأخرى مثل السمع ، البصر ، والمعاونة ، مرتبطة فى نفس الوقت بمجال الحياة الدنيا حيث تلعب دورا هاما فيها • وتعاليم الحكمة كقواعد لحياة الانسان مرتكزة على الخلفية الدينية تشير بوضوح الى ذلك ، كما ورد بنصوص الجمل التالية :

« يجب على المرء أن ينصت الى التعاليم » (٦) « الانصات لطالب الحاجة » « يجب على التلميذ أن يستمع » (٧) •

ثم ان المخلوقات النصف الهية تستمع أيضا الى الالتماسات

(4) Walter Wolf, Das alte Agypten d. t. v. S. 74.

(5) Ibid.,

(٦) قارن اختاتون وديانة العمارنه • « سماع تعاليم الحياة » •
التطلع لجمال آتون •

(7) Brunner, Altgypt. Erziehung. Wiesbaden 1957, S. 131 f.

وتتقوم بتوصيلها للآلهة تماما مثل الأشخاص المعبودة ، كما ورد بالنص :
« يا أهل مدينة الأقصر ، أخبروني بطلباتكم والتي سوف أرفعها للآله
آمون » (٨) .

وصفة الرؤية لها نفس الأهمية ، على أساس ارتباطها بالارشاد
والهدى (ssm) من خلال النور الالهي : « متفتح الأعين ، والسماع من
خلال الأذن » . « ارشاد الضال الى الطريق الصحيح » . الخ .

وان ادراك النور الالهي يشير الى العلاقة بين النورانية الالهية
وضوء عين الانسان . فكلما ارشاد تحتوى فى حد ذاتها على
« النموذج الأعلى » أو « المثل الذى يحتذى به » . على أساس أن
الكلمة المصرية للصورة أو الشكل = ssm تعنى أيضا « المثل الذى
يحتذى به » .

ان صفات السمع والبصر والارشاد الصحيح تؤدي الى حرية
الحركة التى بمفهومها العميق تناسب الآله . « واسع الخطى » ، وهى
تعبير عن حرية الآله فى التعامل والتصريف الكامل وليست بمفهومها
الحركى .

ان الآله هو سيد الشئ « الذى يكون ولا يكون » انه « المرئى
والغير مرئى » ، « الأمس والغد » (٩) .

انه خالق الكون وحاكمه ، وهذا يعنى أن تأثيره مستمر فى
الحياة التى خلقها . فاذا نظرنا الى هذه الازدواجية من الناحية

(٨) نصن على تمثال امنوفيس بن هابو بالمتحف المصرى .

(٩) كتاب الموتى الفصل السابع عشر .

الدينيوية فإن نجد لها أثرا فيه • أما فى المجال الدينى فهو جزء واحد
تجتمع فيه الايجابية والسلبية معا • هذا الازدواج فى جد ذاته يؤدى
الى انقسام المثل الأعلى الى قطبين أحدهما فى الواقع مذكر والآخر
مؤنث • القطب المؤنث يتمثل عادة فى صورة البقرة الأم ، ومثالنا
فى ذلك الإله حتجور السماوية ، أو صورة طائر (١٠) • ومع أن هذه
الواجهة المؤنثة للمبدأ الأعلى (١١) سميت بأسماء مختلفة كنوت وانبريس
وحتجور ونيت ونفتيس وغيرها من الالهات ، فكلها توضح لنا فى
نفس الوقت واجهة هامة للاله الأوحد (١٢) •

وفى داخل هذا القطب المؤنث نجد نوعا من الانشقاق : الشق الأول
يتمثل فى صورة العنصر الأمومى • ولذلك يضع المصرى القديم على
كل رأس مؤنثة رمز أنثى النثر وعليه يمثلون كل الالهات كأنثى
النثر (١٣) •

(10) Junker, *Sehender und blinder Gott*, S. 37, 40.

(١١) « الكبيرة » « سيدة كل شئ » ، قارن أيضا « سيشات »
JEA., 1941 p3pf.

(12) Capart, *Quelques obs. S. 1. Deesse déi Kab*, Brussel
1941, P. 171 ff.

(١٣) قارن أيضا النحلة (ملكة النحل) = ملكة مصر السفلى = نيت
Brugsch, *thes.* 698, Pyr. قارن أيضا
1434 c. s. فى نصوص العصر المتأخر يلحق بكلمة « الحماية » رمز أنثى
النسر الذى ييسط جناحيه للحماية • قارن Hopfner, *Tierkult*, S. 105
نربط هنا بين ذلك وبين الحاق صورة أنثى النسر عند كتابة كلمة «أم» mut

ان مبدأ الاحتاط والحماية يظهر لنا هي صورة البيت أو بناء العش (١٤) .

(حتحور = بيت حورس ، انها تتلقى وتملأ الطفل الالهى)
« العالم ينظر اليه كبيت يبنى » (١٥) أما الثانى فيتمثل فى الطفلة البكر
والذى يوحى بأن آلهات كثيرات يمكن حل كل منها الى جزئين : الأم
الطفلة . فنحن نعلم أن هناك آلهتان حاميتان : أنثى النسر والثعبان .
واللهتان ندايتان : ايزيس ونفتيس ... الخ (١٦) .

ومن نصوص الأهرامات نعلم أن هناك « آمان » ، أى الذهبين
واللذان يظهران فى صورة « العينان » ، أو « التاجان » . انها
الازدواجية التى سبق ذكرها : الأم والطفلة والتى تعبر عن تركيبة
العنصر المؤنث معنى بذلك أن الأم هى التى تحمى وتضفى بحياتها (١٧) .

أما الطفلة فهى الابنة المخلوقة : « قبلى ابنتك ماعت » ضعيها

(١٤) قارن « حورس فى العرش » « وحورس فى القصر » = فى
أحضان الأم .

انظر لوحات ابيدس . قارن ايضا غطاء التابوت = نوت .

(١٥) قارن الآلهة سثات عند تأسيس المعبد .

(١٦) اعتقد أن هناك تشابها فى ذلك وشجرتى الجميز اللتين تلدان
ابن الشمس . فمن الناحية المعمارية يتضح ذلك فى برجى بوابة المعبد الكبير
للالة . الذى يماثل أيضا « الجبلين » اللذين تشرق بينهما الشمس (رمز
الصرح) .

(١٧) نذكر الآلام الشديدة التى أصيبت بها ايزيس عندما لدغ ابنها
حورس من العقرب لدغة مميتة .

أمام أنفك = النفس ، النور ، الحياة ، كى يعيش قلبك والا تباعد
عنك » (١٨) .

وبكارة الأنثى هنا شئ هام جدا لما لها من صلة بمكانة زوجة
الاله والابنة المتبناه والتزامها ببقائها غير متزوجة (١٩) .

مما سبق ذكره يتضح لنا اتحاد قطبين داخل المبدأ الأعلى الالهى
(Ntr 3) أحدهما سالب والآخر موجب أو واجهة الصباح وواجهة
الليل أو جانب حركى وجانب ساكن .. هذا العلو والسمو الأزلى
للقوى القطبية فى « الأوحد » التى تتنافر وتتناقض فى صورة
الجوهر والشكل أو الروح والمادة ، يماثلها فى الحياة الدنيوية مفاهيم
السلبية والايجابية ، الخير والشر ، والتى عبر عنها المصرى القديم على
وجه الخصوص بأسماء الآلهة : حورس وست (٢٠) وعند ذكرنا للاله
« ست » تجدر الإشارة بأنه سواء ربطناه فى مراحل تطوره الأولى
بمصر العليا أو بشرق الدلتا فليس ذلك موضوع نقاشنا الآن (٢١) .
والذى يهمنا أنه عبر عنه من الناحية الدنيوية منذ عصر الأهرامات
كخضم لكل ما هو الهى ، انه الظلام ، الليل ، الصحراء ، ابن الليل

(18) CT 80, II, 35.

(١٩) قارن نصوص الأهرام نص رقم ٢٥٠ .

(20) G. Thausing, Ethik und Magie WZKM, 54. Bd, 1957 S. 208

(21) Scharff, Die Ausbreitung des Osiriskultes, Bayr. AK. W:ss.
Sitz. Ber., 1948, S. 26 ff. Stock, Das Ostdelta Agyptens in seiner
entscheidende Rolle, Welt des Orients.

(ابن نوت) ، الموت ، الظلال « لقد اتحد حورس وست فى
الواحد » (٣٢) .

وهذا لا يناقض انضمام ست فيما بعد الى اسطورة ايزيس
وأوزوريس . فليس بالشئ الهام هنا الحدث التاريخى ، ولكن
الازدواجية الأبدية - والتي انعكست على الناحية التاريخية - هى محل
حوارنا .

وعلى ذلك فقد عرفنا أن هناك مبدأ الهى أعلى ، وهو قدرة
وطاقة كل متغيرات الأشكال النابعة منه . وبعيدا عن هذا النوع من
الازدواجية للمبدأ الأعلى نعرف تعبيرات أخرى : « انه الاله المتوج
فوق كل تناقض ، الذى يتحد فيه كل من حورس وست ، الملك على
الأرض صورة طبق الأصل منه » ، « قف من أجل حورس ، قف ضد
ست » (٣٣) . هذا النوع من الازدواجية يظهر لنا من خلال أسماء
بعض ملوك الأسرة الثانية فى نهاية تلك الأسرة نجد نتيجة للقلقل التى
حدثت والرجوع لعبادة ست مرة أخرى فى الصعيد لفترة قصيرة ،
قام « خع - سخم » بوضع العلامة المميزة لست فوق واجهة القصر
(srh) التى تحوى اسمه وذلك بدلا من حورس . ولكن سرعان

(22) Spiegel, Horus und Seth, Leipz. Frschg. Heft 9

Gardiner, JEA, 1944, 23 ff.

تارن فى ذلك الأحوال الدينية فى نهاية الأسرة الثانية ايان حكم كل من
بر - يب - سن وخع - سخم وخع - سخم - وى !! انظر فيما بعد .

(٢٣) نصوص الأهرام نص رقم ٤٣٧ تارن أيضا

Sethe, PK. 793a, 971, P. 823

ما أعاد آخر ملوك الأسرة « خع — سخم — وى » (٢٤) • عبادة حورس مرة أخرى ولكنه اضطر أن يضع العلامتين المميزتين لكل من حورس وست مجتمعين فوق واجهة القصر التى تحوى اسم الملك • وليس ذلك فقط كنوع من المساواة ولكنه الرجوع والاتحاد فى الأصل مرة أخرى • فاسمه المزدوج يشير الى ذلك :

(h — shm . wy Nb . wy — htp — im . f)

= « أشرفت القوات ، السيدان مسروران فيه » (٢٥) •

وهذا الاتحاد للمبدأ المطلق يظهر بوضوح من خلال أقدم الصور التى عرفناها فى الأسرة الأولى : جناحا السماء مبسوطتان فوق الخليفة كنوع من الحماية •

انهما لا يمثلان شطرى مصر فقط ، بل كل شيء متباعد أيضا ، مثل النور والظلام ، السكون والحركة ، الذكر والمؤنث ، النظام والفوضى ، الروحانية والمادية ، الكينونة والصوررة • كما ورد فى النص : « اننى آتوم ، الذى كان بمفرده فى المحيط الأزلوى (= الغموض والفوضى) ، رع فى اشراقاته (= النور) اذا فتح عينيه يشرق الصباح ، واذا أغمضهما يحل الليل » (٢٦) •

(٢٤) البعض يرجح أن « خع — سخم — وى » هو نفسه « خع — سخم » والذى غير من اسمه فقط بعد الرجوع لعبادة كل من حورس وست مجتمعين معا •

(25) Walter Wolf, Das Alts Agypten. S. 32

(٢٦) أناشيد انفو . « انه الإله الذى يرى ولا يرى » •

ولقد ارتبط العصر العتيق برمز معينود أوخذ فى غرب الدلتا (٢٧)
 ألا وهو الصقر . وهنا يتحول هذا الرمز — الذى تحول بدوره إلى
 الاله الأعلى — إلى « البعيد » = حورس أما جميع الآلهة الأخرى التى
 تكونت ونشأت فيه تجعل اسمه ، فهى صور منه ، لذا يظهر لنا هذا
 التشابه بين بعض الآلهة المحلية ، والكائن الأعلى . فعلى سبيل المثال
 « مين » و « حورس » ، أو بمعنى آخر التحول إلى حورس ، أى إلى
 الأعلى . وهنا يتساوى حورس مع 3 Nr (٢٨) و

ان الصقر الذى اعتبرناه منذ العصر العتيق الروح الحامية لرئيس
 القبيلة فى مصر السفلى هو نفسه الذى أصبح فيما بعد الاله الأعلى
 انه البعيد أو الأعلى hrj = حورس = « البعيد » بمعنى الابتعاد
 عن كل ما هو دنيوى وكل ما هو عدوانى (٢٩) .

وكان لارتباط الصقر ارتباطا واضحا بتأسيس الدولة المتحدة وما
 نتج عنه من ظهور الاله السماوى ، أن بقى هذا التقارب راسخا آلاف
 السنين . وساهم كركيزة وقاعدة أساسية فى التغيرات اللاحقة (٣٠) .

(٢٧) ينسب « جاردنير » وسط الدلتا كموطن للصقر

Junker, Pyramidenzeit. S. 23 ff.

(٢٨) Junker, Pyramidenzeit. S. 21 قارن أيضا بداية المقال .

(٢٩) يمكن هنا مقارنة الصقر كروح حامية فى تمثال الملك خفرع
 بالمتحف المصرى . فى ذلك قارن مقالا للكاتب بعنوان « تأملات جديدة فى
 تمثال الملك خفرع بالمتحف المصرى » . ونفس الشيء ينطبق على تمثال
 رمسيس الثانى ومن ورائه الصقر . وهناك آلهة أخرى تظهر كحاميات مثل
 للقرد = (ثحوت) الجالس وراء الكاتب .

(30) J. Spiegel, Das Werden der Altgyptischen Hochkultur,
 S. 94.

فعند ظهور عبادة الشمس فى هليوبوليس استخدم ذلك بحكمة من أجل الوصل بين العبادات ، وذلك بوضع قرص الشمس بين جناحي الصقر وعليه يمكننا تتبع الشمس المجنحة خلال العصور التاريخية المختلفة . وتجدر الإشارة هنا الى أن كل هذه التغيرات كان المقصود بها فى المرتبة الأولى الاله السماوى الذى تمثل عيناه قطبى السماء : « عينك اللتان تعيشان ترسلان اللهب ، عينك السليمتان تضيئان الظلام . أنفك عش الهواء ، شفتاك بوابتا السماء . الخ » (٣١) .

والاله العام يحمل ضمن اسمه الأساسى أسماء أخرى تطورت تطوراً طبيعياً على مر العصور المختلفة (٣٢) . حورس فى عصر الأسرات المبكر ينتشبه مع حورس القديم الذى كان يعبد كرمز مقدس للقبيلة . وفى الحالتين تتفق صفات البعد والاستعلاء والسمو .

إن رع اله الشمس مظهر من مظاهر النور منذ الأسرة الرابعة والخامسة ، ثم بعد ذلك يظهر لنا آمون أو آمون رع فى الدولة الحديثة والذى تغلب عليه صفة الشئ البعيد الغير مكتشف (٣٣) .

انه دائماً نفس الاله الأعلى ، فكل تسمية جديدة توضح واجهة أخرى لهذا المبدأ الأعلى . وبجانب تلك الأسماء والتسميات السابق ذكرها تأتى بعض الأسماء الأخرى الغير متداولة كثيراً ولكنها تظهر

Junker a. a. O., S. 17 ff.

(٣١) أناشيد ادفو .

(٣٢) تلك الأسماء ليس لها علاقة بالصفات السابق ذكرها مثل « الكبير » ، « الأوحد » ، « الرائع » .

(٣٣) قارن مع سبق ذكره فى أول المقال . آمون = المختفى .

يوضح عند دراسة عقائد مراكز العبادة الأخرى (٣٤) ومع بداية الأسرة الخامسة أصبحت ديانة الشمس أى ديانة رع هى السائدة بالرغم من معرفتنا بوجود جذور لها منذ فترة طويلة سابقا (٣٥) .

ومع ظهور رع نتعرض لواجهة هامة للاله الأعلى : انه عنصر النور النور الذى ينتقل من المستويات الخلفية — فيكون باهتا — الى المستويات الامامية فيظهر جليا واضحا فى الأسرة الخامسة ، وهو تعبير فى حد ذاته عن التيارات الروحانية لتلك الفترة ، والتي بدأت بوادها منذ الأسرة الثالثة .

وجدير بالملاحظة هنا أن رمز أهرامات الأسرة الرابعة والتي وصلت درجة كمالها فى هذه الفترة أعلى مراتبها — لا تعبر عن شيء آخر غير ذلك (٣٦) .

(٣٤) انظر آخر المقال .

(٣٥) لدينا الدلائل الكثيرة التى تشير الى وجود الاله رع منذ العصر العتيق . فعلى سبيل المثال وليس الحصر $Rc - nbj$ (= سيدى رع) قارن أيضا من خلال اسم الملك زوسر تعريف « الشمس الذهبية » قارن أيضا لقب كبير كهنة هليوبوليس منذ الأسرة الثالثة :

« الذى يرى الاله العام الكبير » ونصوص الأهرام خير دليل على ذلك

مع ظهور معابد الشمس . انظر فى ذلك Ricke, Baukunst, II

ومنذ الأسرة الرابعة دأب الملوك على تسمية أنفسهم « ابن الاله رع » ، وأرى شخصا أن هذا نوع من البعد والاختلاف عن الاله نفسه ، وليس قريبا واندماجا معه .

(36) Thausing, Zum Problem der Pyramiden, Anz. AK. d.

Wissen. 1948.

ان طراز الفن في الأسرة الرابعة متمثل في أهرامات الجيزة
ببساطته الهندسية ووضوحه يجر عن الروعائية وعن العناصر الموجب
الخالص الخالق ، أظن أنه مظهر الفورية في الحياة . هذا النمط أو
الطراز هو الذي اسماه « يونكر » « طراز الجيزة - الدقيق الأملس » ،
معتمدا في ذلك على تعبيره عن الناحية الدينية الواضحة . وتلك الفكرة
تزداد وضوحاً مع ظهور معابد الشمس في أبو صير . متمثلة في المسلات
رمز النورانية (= صورة الآلهة على الأرض) (٢٧) .

والمسلة في حد ذاتها شعاع الشمس الذي يستقر ضوءها على
قمتها المدببة وهو الطاقة الالهية الخالقة الكامنة فيه .

ومع ظهور عبادة الشمس في هليوبوليس خلال الأسرة
الخامسة (٢٨) - والتي شقت طريقها منذ الأسرة الثالثة - يكون ذلك
التيار الروحاني قد انتقل نحو كامل سيادته ، وكما ذكرنا فمعابد
الشمس مثلاً واضح وشاهد على ذلك (٢٩) .

فمعابد الشمس في الأسرة الخامسة وما تحمله في طياتها من دلالات
واضحة للآله الأعلى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمعابد الآله « رع » في

(٢٧) نصوص الأهرام نص رقم ١١٧٨ .

(٢٨) Spiegel, Hdchkultur, S. 360 ff.

(٢٩) هذا لا يغير من مفهومنا عن العلاقة بين معابد الشمس والوحدانية
وما يذكره يونكر عن وجود صلة بينها وبين الملك الآله . اقرأ في ذلك

Junker, WZKK (1957) S. 222 ff.

هليوبوليس . وان ذلك يبدو واضحا من خلال قصة الملك خوفو أو
الساحر (٤٠) .

فقد ذكر الساحر للملك خوفو أن أسرار معبد الاله تحوى التى
يطلبها لا يمكن احضارها له لأنها محفوظة لدى أحد التوائم الثلاثة
الذين مازالوا فى جسد زوجة أحد كهنة الاله رع ، والذين سوف يحكمون
بعد ذلك البلاد واحدا تلو الآخر .

وبما أنهم فعلا الملوك الثلاثة الأوائل للأسرة الخامسة فعلى ذلك
تتضح العلاقة بين هليوبوليس وظهور معابد الشمس فى الأسرة
الخامسة وعبادة الاله « رع » (٤١) .

والذى يهتد هنا أن الإشارة الالهية ظهرت أيضا وفى نفس
الوقت فى هليوبوليس فتعاليم هليوبوليس تعرف كذلك أن رع
(= الوهاج) يمثل جانبا هاما « للأعلى » وهو جانب النور . وفى
بادئ الأمر عبد « الأعلى » فى صورة « آتوم » (= الذى لم
يحدث بعد) وهى الطاقة والقدرة .

وترتبط بذلك ارتباطا وثيقا المجموعات الالهية المتبينة من الاله
واحد : فعلى سبيل المثال هناك ثمانية أشكال تنبثق من « آتوم »

(٤٠) راجع فى ذلك بردية « وست كار » .

E. Brunner — Traut, *Altägyptische Märchen*. Duss. — Köln 1963,

11 ff.

S. Schott, *Altägyptische Liebeslieder*. Zurich, 1950, 176 ff.

(41) Walter Wolf, *Das alte Ägypten*, dtv. S. 51 f.

أو « آتوم رع » كما سمي فيما بعد ، بعد اتحاد ازدواجية الظلام والنور فيه وتلاشيها كازدواج .

انهم ثمان قوى الهية مرتبة حسب صلات القرابة والنسب (٤٢) .
والتكوين الالهى لهذا التساوع مجتمعة مع « آتوم - رع » قد حدث منذ الأسرة الثالثة ، فالمبدأ الأعلى يسمى حينئذ « رع » ، والذي تشبه ثم اندمج هو الآخر مع حورس وتحول الى الاله العظيم .

ومشابهة لتعاليم ديانة هليوبوليس تظهر لنا ديانة منف أيضا المنبثقة هي الأخرى من اله واحد متمثلة فى مبدأها الأزل « بتاح » ، الذى تنبثق منه هو الآخر ثمانية أشكال أخرى ، آخرها النور فى حد ذاته : « نفرتم » (= اللوتس) ، « أمام ألف الاله رع » (٤٣) .

وكما أثبتنا من قبل أن رمز الاله حورس (٤٤) قد تحول الى الاله العالمى ، ونجد أن ذلك ينطبق أيضا على « بتاح » = « الأساس والأصل - البداية والهدف » ، فقد خلق هو أيضا من خلال التكوين الثمانى ، مثل « رع » فى هليوبوليس أو شبسس spss(j) (= الرائع - الراقى) فى هليوبوليس الذى يتقمص كلا من شخصيتى آون وبتاح .

وفى غرب الدلتا ومنذ قديم الأزل كانت هناك مراكز لعبادة

G. Thausing, Sein und Werden, S. 92.

Sandman, PTAH S. 11 f.

(٤٣) قارن

(٤٤) انظر نفس المقال ص ٨ .

الصقر ^(٤٥) ، وهى التى كونت ذوعا من الاتحاد مع الاله العالمى ، فهنا أيضا نجد تلك التسمية المزدوجة للاله الأعظم : $Mhntj - irtj$ = الاله ذو العينين ، $Mhntj - n - irtj$ = الاله بدون العينين (الاله الذى لا توجد لوجهه عينان) ^(٤٦) .

وكما ذكرنا من قبل يحتوى هذا التعبير على نفس الفكرة : الظلام والنور ، السالب والموجب ، السكون والحركة ^(٤٧) . هذه الثنائية تنتزع من خلال تسميات الاله الأعلى فى الدولة الحديثة : « آمون — رع » فآمون هو المختفى أى هو الطاقة الكامنة ، فى حين أن رع يمثل المجال أو الوسط المرئى . وفى كتاب الموتى الجزء ٦٤ يذكر الآتى : « لقد ذهبت من لوتوبوليس الى هليوبوليس كى أعرف الفنكس ^(٤٨) بأشياء العالم الآخر » . ومعنى ذلك أنه نزل الى أسفل القاع وأحضر ماهو أسفل الى أعلى ، الى النور ، الى الادراك . فى أعماق الظلام ينبثق النور ، من $Mhntj - n - irtj$ وهو فقدان الضوء يظهر الى $Mhntj - irtj$ = الاله ذو العينان ^(٤٩) وتجدر الإشارة هنا الى أن $Mhntj - irtj$ وكذا $Mhntj - n - irtj$ يتحدثان سويا مع آخر نجوم الدب الأكبر ،

(٤٥) حورس الذى ينتمى الى لوتوبوليس .

(46) Junker, Der Sehende und blinde Gott.

(47) Sauneron — Yoyotte, Aeg. Schöpfungsmythen, S. 37 fff.

Quellen des Alten Orients.

(٤٨) الفنكس يمثل هنا الضوء .

(٤٩) قارن فى ذلك أيضا .

Junker, Der Sehende und blinde Gp, S. 38 f.

بمعنى أن الإله الأعلى يربط ويثبت نفسه أيضا بمجال النجوم الثابتة،
تماما مثل اتحاداه مع قرص الشمس والذي يتضح فيما بعد من خلال
ديانة العمارنة • فالديانة الكونية وديانة الشمس يقفان متقابلين على
قطر واحد (٥٠) •

فإذا تأملنا موضوع النور ومفهومه ، أى ديانة هليوبوليس
والتعاليم الأخرى المنبثقة منها ، نجد أن ديانة الكواكب والنجوم
تعبّر عن الظلام ، الليل ، الماضى والشر ، لذا يظهر لنا ذلك فى
الاتحاد مع « ست » وهو فى جد ذاته مبدأ الشر لذلك يستند « لست »
النظام الكونى للدب الأكبر ، مما ينتج عنه اعتبار لتوبوليس القطب
المضاد لهليوبوليس •

يستخلص من ذلك تاريخيا أن « جورس » ثم « رع » وبعد ذلك
فى الدولة الجديثة « آمون — رع » يمثلون جميعا مظهرا واحدا
« للواحد » الذى أوحى للبشرية من خلالهم •

وهكذا أوضحت الديانات الأساسية واجهة هامة من مظاهر الإله
الأعلى ، متمثلة فى « منف ، هليوبوليس ، طيبة » • أما مراكز العبادات
الأخرى بما تحويه من آلهة محلية فقد طورت تطوراتها الموازية للعبادات
الأساسية •

(٥٠) قارن فى ذلك تحديد الاتجاهات السماوية داخل المقبرة أو المعبد
بناء على وضع الكواكب ، معتمداً فى ذلك على اتجاه شروق الشمس •

ويتضح مما سبق أن الثنائية والازدواجية للاله الأعلى تمثل في حد ذاتها واجهتى المبدأ الأزلى .

ويدخل أيضا فى نطاق تلك المجموعات الالهية المنبثقة من الواحد مانسميه بالثالوث ، فهى فى النهاية قوى الهية متعددة تظهر لنا على هيئة أوجه وصور « الأوحد » .

فالطاقة الخالقة للثالوث تطابق تلك الموجودة بالتثليث داخل التاسوع ، فهو عبارة عن :

١ - المبدأ الأزلى (آتوم)

٢ - الذى نتج عنه (نوت أو تفنوت)

٣ - العلاقة بين الاثنين (جب أو شى)

أما بالنسبة للثالوث فهو انقسام الأوحد على نفسه مكونا قطبية المغمطين فى الأم والابن : آمون - رع ، موت ، خنسو أو بتاح ، سخمت ، نفرتم (٥١) .

نستخلص من ذلك وجود مبدأ أزلى للاله ، وهو « الاله العالى » . الذى يسمى أحيانا $Ntr - wr$ أو $Ntr - 3$ أنه الطاقة الخالقة لكل ماهو متناقض ومتباين ، الطاقة الخالقة للثالوث والتثليث ، الطاقة الخالقة لكل ماهو متغير ومتنوع (الحياة فى حد ذاتها) للظاهر والباطن .

(٥١) قارن كتاب الموتى الجزء السابع عشر : « كنت بمفردى فأصبحت

ثلاثا » .

انه الأوحد ، خارج الحركة وخارج السكون وبالرغم من ذلك يتحد معهم • « رع » و « أوزوريس » - الروح والحياة • « رع يستقر فى أوزوريس وأوزوريس فى رع » (٥٢) • انه الاقرار بوجود مبدئين أساسيين يتمثلان فى الأبطالين : « الكينونة والسيورة » أو « الموجب والسالب » أو « المذكر الخالق والمؤنث المستقبل » (٥٣) هذان المبدآن الأساسيان شئ عادى فى المجال الأرضى من خلال حياتنا اليومية • ولكن بالنسبة للمصرى القديم فهو اقرار لمبدأ غير عادى (٥٤) •

فاذا خرج الأوحد من حالة الاستقرار هذه ، فعند ذلك تتحول الكينونة الى السيورية ، وهنا تستيقظ الازدواجية الكامنة فيه ، بمعنى انفصال الظاهر والباطن عن بعضهما • « أنا أتوم عندما كنت بمفردى فى الماء الأزلى ، أنا رع عندما ظهر كى يسيطر على ما خلق » (٥٥) •

أما فى النهاية المطلقة فتتلاشى تلك الازدواجية الثنائية : الكينونة والسيورة ، الماضى والمستقبل ، الفوضى والنظام ، الخير والشر ، الليل والنهار ، الحياة الدنيا والآخرة ، الروح والمادة ، الأب والابن ، الرجل والمرأة الخ •

(٥٢) كتاب الموتى الجزء رقم ١٨٢ •

(٥٣) يجدر بنا هنا التأمل فى حياتنا اليومية متمثلة فى اليمين واليسار وما تحويه من انقسام وفى نفس الوقت اتحاد وجودى مصرى •

(٥٤) فقد ذكر الأستاذ E. Otto (بالنسبة لموضوع الثنائية والازدواج) « انه يعتقد ما أسماه » : « التفكير الخاص للإنسان المصرى القديم » •

(٥٥) كتاب الموتى الفصل السابع عشر •

بمعنى آخر تعود تلك الأشكال المنبثقة من مبدأ « الأوحد » الى حالة استقرارها الأولى ^(٥٦) بعد انفصالها عنه لتندمج معا مرة أخرى — تماماً مثل الشكل الهلامى أو الزئبق الذى تتفصل جزيئاته عن بعضها ثم تعود فتندمج مع الأساس مرة أخرى — مكونة ذلك المبدأ أو المعتقد الأعلى ألا وهو 3 Ntr — أو Ntr — Wr « الاله الأكبر » .

(٥٦) قارن ماسبق ذكره بالنسبة للناسوع والثالوث والتثنية .

